المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

الإقناع في الحوار الشعري
(الشعر السعودي نموذجا)

The duality of annihilation and survival
in Al-Shanfari's poetic vision
- a dialectical vision in structuralism -

بقلم

فاطمة إبراهيم غرم اللّه الصفصافي

قسم اللغة العربية ـ الكلية الجامعية بالقنفذة
جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية

الجزء السادس (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإقناع في الحوار الشعري (الشعر السعودي نموذجا)

فاطمة إبراهيم غرم الله الصفصافي

قسم اللغة العربية ـ الكلية الجامعية بالقنفذة ـ جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : fatma@yahoo.com

الملخص

يعد الحوار بوصفه أداة فنية من التقنيات الأساس التي تقوم عليها الفنون النثرية من مسرح، وقصة، ورواية. ففي المسرحية يعد الحوار من أهم عناصر العمل الفني " ولا يميزها تمييزًا واضحا إلا طريقتها في استخدام أسلوب الحوار بصفة أساسية. وأقول بصفة أساسية، لأن القصة تستخدم هذا الأسلوب "أحيانًا" بجانب استخدامها الأسلوب السردي والأسلوب التصويري، في حين أن المسرحية لا تستخدم سوى ذلك الأسلوب. .." (١)

ولا يكفينا من الحوار أن يأتينا على صورة سؤال وجواب بين شخص وآخر؛ بل الحوار الذي يوظفه المبدع من أجل الوصول إلى غاية، ويعالج به قضية أو ظاهرة ما.

ونظرا لوجوده أيضا في النص الشعري وكونه من الأساليب الإبداعية التي تنقل النص إلى مستوى أعلى وأعمق من التأثير،تسعى هذه الدراسة إلى تتبع أثره من خلال وظيفته الإقناعية في الشعر وكيف استطاع الشاعر أن يوفق في توظيفه في نصه الشعري.

الكلمات المفتاحية: الإقناع في الحوار الشعري ، الشعر السعودي ، الحوار الشعري .

(١) عز الدين، إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٤هـ، ص١٣١.

Persuasion in poetic dialogue
(Saudi poetry as a model)

Fatima Ibrahim fined God Safsafy
Department of Arabic Language - Al-Qunfudhah University College - Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia.
Email: fatma@yahoo.com

Abstract

Dialogue as an artistic tool is one of the basic techniques on which prose arts, such as theatre, story, and novel, are based. In the play, the dialogue is one of the most important elements of the artwork, and does not distinguish it clearly except its way of using the method of dialogue mainly. And I say basically, because the story uses this style 'sometimes' along with its use of the narrative and the pictorial style, while the play only uses that style. ..'( ) It is not enough for us to have a dialogue that comes to us in the form of a question and answer between one person and another; Rather, the dialogue that the creator employs in order to reach an end, and deals with an issue or phenomenon.

And because it is also present in the poetic text and being one of the creative methods that move the text to a higher and deeper level of influence, this study seeks to trace its impact through its persuasive function in poetry and how the poet was able to succeed in employing it in his poetic text.

Keywords: persuasion in poetic dialogue, Saudi poetry, poetic dialogue.

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

مفهوم الحوار:

إن الحوار فن من فنون الكلام، ويتصل بأوثق سمات الحياة للإنسان وهي التواصل "حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي"(١)، فهو آلية تواصل بين طرفين، المتكلم والمخاطب، وأحيانا يكون بين المتكلم ونفسه.

تعريف الاقناع:

الاقناع لغة :وأقنع رأسه وعنقه:رفعه وشخص ببصره نحو الشيء لا يرفعه عنه.والإقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع(٢)

يقول سعيد علوش في معجمه عن الإقناعية: "شكل من أشكال العمل الإدراكي، يستهدف فيه المرسل، اكتساب قبول المتلقي"(٣).

وهكذا نجد أن الإقناع يفيد الرغبة في حصول القبول من المتلقي.

المقصود بالوظيفة الإقناعية: "قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي"(٤).

والحوار كأسلوب له دوره البارز لتحقيق هذه الوظيفة، يتمثل ذلك: "في إيضاح الأفكار، فكل طرف من أطراف الحوار يعرض فكرته، ويحاول إقناع الطرف الآخر بها، وعن طريق ذلك العرض ومحاولة الإقناع تبرز فكرة كل طرف وتتضح"(٥).

---

(١) علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٧٨.

(٢) ابن منظور،محمد بن مكرم بن علي،لسان العرب،دار صادر ،بيروت،(قنع)،ص:٢٩٩

(٣) علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص: ١٨٣.

(٤) هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق: د.محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩، ص: ١٠٢.

(٥) الفايز، عبدالرحمن بن عبدالعزيز، الحوار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي،

وما كان الحوار ليؤدي هذه الوظيفة المرجوة منه في هذا الجانب دون تحقق أمور أخرى، منها: إحكام الصياغة، وقوة الأسلوب، ومراعاة الحوار للسياق الذي يرد فيه، وحال أطرافه. والحوار بشكل عام تختلف طبيعته باختلاف طبيعة العمل الأدبي؛ فهو في الشعر يختلف بطبيعة الحال عن الحوار في المسرح أو في القصة؛ لكنه قد يلتقي معهما في الوظيفة الناتجة عنه.

أما خاصية الاقتصاد فيه فتكون في الشعر بدرجة أكبر من الفنون النثرية؛ فالحوار يُوظَّف في النص الشعري بما يتلاءم مع طبيعة اللغة الشعرية ذات الإيجاز والتكثيف، ويحمل في طياته كثيراً من الدلالات والجماليات، ومن ذلك لم تكن هذه التقنية محصورة في استعمالها للكتابات النثرية فحسب؛ حيث أدرك الشعراء ما للحوار من أهمية في بناء النص الشعري والتشكيل الجمالي له الذي من خلاله يصل مبدع النص إلى فكر المتلقي ووعيه، و"لاسيما وقت تباعد وجهات النظر وطرائق التفكير، ثم محاولة التقريب بينها بالحوار وعرض الأفكار".(١) لذلك استفاد الشعراء قديماً وحديثاً من هذه التقنية في التعبير عن مقاصدهم.

ويختلف الحوار في الشعر العربي المعاصر عما هو عليه في شعرنا العربي القديم؛ لأن الأجناس الأدبية في الشعر العربي المعاصر قد أسهمت في توظيف الحوار الشعري وفق قوالب جديدة؛ مثل: الشعر المسرحي والملاحم، وذلك لا ينفي عبقرية الشاعر العربي القديم في توظيف الحوار في نصه الشعري.

وعلى هذا الأساس فإن حضور الحوار في الشعر لا يمكن تجاهله ؛ فهو من التقنيات المهمة لمبدعي النصوص الشعرية.

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ،جامعة الإمام محمد بن سعود،١٤٢٥هـ ص: ٩.

(١) المشهوري، محمد بن عبدالله، الحوار في شعر محمد حسن فقي،: دراسة تداولية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ.

والشاعر السعودي من أولئك الذين تنبهوا لأهمية الحوار في نقل الأفكار إلى المتلقين وتوضيحها وتقريبها إلى أذهانهم، فاعتمد هذا الأسلوب في قصائده، وأصبح سمة من سمات عرضه وطرحه للفكرة.

وللحوار الشعري وظائف متعددة منها الوظيفة الإقناعية التي قد ينزع إليها الشاعر؛ محاولاً من خلالها تهيئة الطرف الأخر وحمله على الاقتناع، ومن نماذج ذلك ما قاله الشاعر للشمس في قصيدة: (رسالة من القضية إلى الأمة العربية):[1]

لا تعذليني إن تمنَّت مقلتي ... ألاّ تراكِ وإن بنيتُ جدارا

فلقد كشفتِ لنا حقائقَ مُرّةً ... وجعلتِنا مستوحينَ حَيارى

أوّاه يا شمسَ النَّهارِ فَتَحتِ لي ... بوَّابةً منها دخلتُ الدَّارا

فرأيتُ ما لا كنتُ أرجو أن أرى ... وعرفتُ من نُزَلائها الأَخبارا

وسمعتُ أصواتَ الذين تحدّثوا ... ورأيتُ في جدرانها الآثارا

ورأيت -واأسفي -وجوهاً خِلتُها ... من قبلُ تطفح هِمّةً ووقارا

ورأيت كفَّ الذُّلِّ تنقش وَصمَةً ... فيها، وترسم في الملامح عارا

أوَهؤلاء هم الذين تحملوا ... عِبْءَ النِّضال وواجهوا التيَّارا؟!

أين القضيّةُ، ما لهم قد أوقفوا ... عنها العطاءَ وقلّموا الأظفارا؟!

يطلب الشاعر من الشمس ألا تلومه على رغبته في عدم رؤيتها، ورغبته في إقامة حجاب بينه وبينها، ويبرر عدم رغبته في رؤيتها مستخدماً الربط

(١) العشماوي، ديوان القدس أنت، مكتبة العبيكان ،الرياض،ط٢، ١٤٢٨هـ،ص: ١٦٦: ١٥٧.

التتابعي بما ينتج عن رؤيتها: (فلقد كشفتِ لنا حقائقَ مُرةً، وجعلتِنا مستوحشينَ حَيارى، فتحتِ لي بوابةً... فرأيتُ ما لا كنتُ أرجو أن أرى، وسمعتُ أصواتَ الذين تحدثوا، ورأيتُ في جدرانها الآثارا، ورأيت-واأسفي-وجوها خِلتُها من قبلُ تطفح هِمةً ووقارا، ورأيت كف الذلِ تنقش وصمة، وترسم في الملامح عارا)، فجعل شروقها سبباً مباشرًا لهذه الأحداث المؤلمة المتتابعة، مستخدما أدوات الربط: (فلقد كشفت)؛ فـ(الفاء) تفيد الترتيب والتعقيب؛ حيث تلا شروق الشمس كشفها الحقائق المؤلمة من غير مهلة بينهما، كما أن(قد) أفادت تحقيق وقوع هذا الأمر، ثم إن استخدام حروف الربط مناسب لما وضعت له؛ ففي البيت الثالث بعد أن فتحت الشمس لهم الباب دخل (فرأى) مالا يرجوه دون مهلة، ثم توالى الربط بالواو(وعرفت، وسمعت، ورأيت)التي تفيد الجمع دون ترتيب زمني بين الأفعال التي كشفت له الوجه الآخر للذين ظنهم رمزاً للهمة والوقار. ونتيجة لما رآه ساوره الشك في الذين كان يظنهم بمنزلة عالية من الهمة والوقار، فجاء بـ(أوَ)للتشكيك في الذين تحملوا عبء النضال؛ حيث حقيقتهم مخفية عن المخاطب، كما يستبعد منهم النضال ومواجهة التيار.

وبعد أن ساق الشاعر حجج رفضه للشمس ردت عليه قائلة:

قالت لي الشمسُ المضيئةُ: ما لكم ... لمَّا طَلَعتُ أثرتم استنكارا؟!

لو لم يكن هذا الشروقُ لزادكم ... وَهْمُ النِّضال تراجُعاً وعِثارا

أنا ما كشفت الليلَ عنكم أبتغي ... أنْ تمنحوني خاتماً وسِوارا

أنا لستُ أطلب أنْ تُقيموا خالداً ... من قبره، أو جعفرَ الطّيارا

أنا لا أقول: دعوا المثنّى يقتفي ... أثرَ العَدُوِّ ويطرد الكفَّارا

أنا لا أقول: استنهضوا من قبره ... سعدَ بنَ وقّاصٍ ليطلبَ ثارا

كـــلّ الـــذي أرجـــوه مـــنكم أنْ أرى ... صـــدقاً وحقـــاً واضحـــاً ومنـــارا

وبصيـــرةً مـــنكم تـــريكم كلّمـــا ... يجـــري وتصـــرف عـــنكم الأخطـــارا

وتُحيـــل هـــذا الجَـــدْبَ خصـــبا ضـــاحكا ... في أرضـــكم، وتسيّـــر الأنهـــارا

أنـــا لا أخـــاف مـــن العـــدوّ فـــإنّه ... ســـينالُ في عُقبَـــى المطـــافِ خَســـارا

أخـــشى علـــيكم مـــن خيانـــة بعضـــكم ... ممَّـــن يثيـــر علـــى الطريـــق غبـــارا

فالجـــذعُ يَثبُـــتُ للأعاصـــير الـــتي ... هَبَّـــتْ، ولا يتحـــمَّل المِنشَـــارا

في الأبيات السابقة تدافع الشمس عن تبعات شـروقها، وتقـنعهم بـالأثر العملي الجلي، وبالنتيجة الإيجابية لشروقها؛ فـ(لو لم يكن هذا الشروقُ لـزادكم وَهْمُ النضال تراجُعا وعِثارا) فهي تريد كشف الوهم عـنهم، وإيقـاف تـراجعهم وتعثرهم، ولا تريد من وراء شروقها أجراً، ولا تطلب منهم مسـتحيلاً بـإخراج الأبطال الموتى من قبورهم؛ بل تريد التزامهم بقيم: الصدق والعدل الواضح، وأن يكونوا على بصيرة تريهم حقيقة ما يجري حولهم، وتصرف عنهم أخطار غفلتهم؛ فخيانة بعضهم أخطر من خيانة العدو.

وتحتج الشمس لضعف أمته وعجزها في مواجهة الخطر بحجـة تمثيليـة تمثلت في الاستعارة بالجذع الذي يتأثر من الأثر الخارجي للأعاصير عليه فيهتز؛ ولكن رغم ذلك يعود قوياً ثابتاً، بخلاف أثر المنشار الذي يتوغل في داخله شـيئاً فشيئاً إلى أن يسقطه، جاءت في جملة اسمية لتدل على الثبات، وهذا البيت فيـه من القوة الإقناعية المكثفة؛ إذ"المثل حُجة تقوم على المشابهة بين حـالتين فـي مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"[1].

(١) العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول نموذجا)، أفريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢م، ص: ٨٢.

وهذا الأثر تجلى على الشاعر الذي لم يستطع الإتيان بما ينقض قول الشمس، فصرّح مذعناً مقتنعاً ومرحباً بها؛ بل وشاكراً لها.

يا شمسُ أرسلتِ الضياءَ فمرحباً بضياءِ شمسٍ يُوقظ الأحرارا

شكراً، كتبتِ لنا رسالةَ وعينا وسكبتِ في طرقاتنا الأنوارا

علّمتِنا أنّ البطولةَ لم تزل في كفِّ طفلٍ يَعزِفُ الأحجارا

وصدقتِ حين حَلَفتِ أنَّ الشكَّ لا يبقى إذا صارَ اليقينُ شعارا

يرحب الشاعر مقتنعاً ومرحباً بأهمية ضياء الشمس الذي يوقظ الأحرار، ويشكرها إذ كان شروقها رسالة وعي ونور لطرقاتهم؛ فهي علّمتهم أن البطولة ليست في الوهم برجال الحاضر، ولا بالاعتماد على مجد الماضي؛ بل البطولة في كف طفل يحمل حجره سلاحاً في وجه العدو، وهذا هو اليقين الذي لا يدع مجالاً للشك.

وقد يأتي الحوار بوظيفته الإقناعية لإثبات غدر اليهود يقول الشاعر:(١)

أيُّها السائل عن ثعبان غدرٍ لم يزل ينفث للأطفال سُمَّه

وعن اللِّص الذي ما زال يقفو أَثَرَ الشيخ لكي يقطعَ كُمَّهْ

وعن البنت التي عقَّت أباها وعن الابن الذي جَنْدَلَ عَمَّهْ

وعن الغدر الذي أصبح رَمزاً ليهودٍ جعلوا الصِّدقَ مذمَّهْ

أرني وجهَ يهوديٍّ يُراعي لبني إسلامنا إلاّ وذمّهْ

(١) العشماوي، ديوان القدس أنت،، ص: ١٧٢-١٧٣.

قـــصص التـــاريخ تعطينـــا دليـــلاً أنَّهـــم للغـــدر يُلْقُـــونَ الأَزِمَّـــهْ

يوجه الشاعر حواره لمن يسأله عن صفات اليهود السيئة، وعـن الغـدر الذي أصبح رمزاً لهم، ويطلب منه: (أرني وجهَ يهوديٍ يُراعي لبني إسلامنا إلاّ وذمةْ)، فقصص التاريخ وحوادثه القديمة التي استقرت في الذاكرة عـن اليهـود وغدرهم يستخدمها الشاعر للتدليل على الحالة الحاضرة لهم، واستمرارهم علـى هذا الغدر.

وهذه وسيلة من وسائل التأثير في المتلقي وحمله على الاقتناع بما جـاء في القصيدة من صفات اليهود، ودليل واقعي قوي لإحداث عملية الإقناع.

وكما استخدم الشاعر الحوار لإقناعهم بغدر اليهـود يسـتخدمه للإقنـاع برجولة الطفل الفلسطيني في قصيدة: (الفارس الذي أدهش الليل)، يقول:[1]

لا تقولـــوا: هـــو طفـــلٌ، إنَّـــه رجـــلٌ يفهـــم مـــا لا تفهمـــونْ

هـــوَ لا يغفـــلُ عـــن واجِبِـــه لحظـــةً لَّـــا رآكـــم تَغْفَلـــون

هـــو لا يرهـــبُ أعـــداء الهُـــدى فمضـــى لَّـــا رآكـــمْ تَرْهَبـــونْ

يرد الشاعر –هنا– على من ينظرون إلى الطفل الفلسطيني نظرة احتقـار واستنقاص، محاولا إقناعهم برجولة هذا الطفل عن طريق القيم التي اسـتدعاها له، وكانت لها أهميتها البالغة في إحداث عملية الإقناع، والتأكيد علـى أن مـن يحملها لا يكون إلاّ رجلاً، وهو حين نفى عن الطفل الغفلة والخوف (هو لا يغفلُ عن واجبه لحظةً، هو لا يرهبُ أعداء الهُدى)، أثبت أنه رجل، وأكد صـدق مـا يقول ،وفي تكرار(هو)جاء لتأكيد الفكرة المسيطرة علـى الشـاعر ،تجـاه هـذا الطفل،ومدى إعجابه به وبفروسيته.

كما أن التكرار–ومن خلال اهتمام الشاعر بما بعد اللفظ المكرر– اضـطلع

(١) العشماوي، ديوان على قمم النصر، مكتبة العبيكان،الرياض،ط١٤٣٣،١هـ،ص: ١٩: ١٦.

بدور حجاجي استخدمه الشاعر للتأثير على من يستنقص من قدر هـذا الطفـل، وإقناعه برجولته وفروسيته؛ فجاء التكرار " رافداً أساسياً يرفد هـذه الحجـج أو البراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، بمعنى أن التكرار يوفّر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقّي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه أو حملـه على الإذعان ذلك أنّ التكرار يساعد أوّلا على التبليغ والإفهام ويعين المتكلّم ثانيا على ترسيخ الرّأي أو الفكرة في الأذهان".(١)

ثم أتى بتهمة أخرى منهم لهذا الطفل:

هـو في ميزانكـم ذو نـزوةٍ جائـرٌ ميزانُ مـن لا يفقهـونْ

كيـفَ يرضـى عـاقلٌ أن ينْـزَوي عـنْ ضـحايا حولَـهُ يستنصـرونْ؟

كيـفَ يرضـى، وقـوانينُ العِـدا يشـتكي مـن جَوْرِهـا المستضـعفون؟

بـرزَ الفـارسُ شـهما مُـدْرِكاً مـن خيـوطِ البغْـي مـا لا تُـدْرِكونْ

فـارسٌ جَـدَّ بـهِ السَّـيرُ إلى غـايةٍ عظمـى، وأنتـم تلْعبـونْ

كلّـما جـاوز في رحلـتِهِ حاجِـزا، هـوّنَ مـا تستصـعِبونْ

هنا حجة أخرى تسهم في تدعيم صدق ما يقوله الشاعر عن هـذا الطفـل على حساب الطرف الآخر حين قال: (جائرٌ ميزانُ مـن لا يفقهـونْ)؛ رداً علـى اتهاماتهم بأن هذه الصفات هي نزوة من هذا الطفل وليست حال مسـتقرة لـه، فوضح لهم أن ميزانهم جائر لأنهم لا يفقهون، وتأكيداً على ذلك جـاء البرهـان بالخلف(كيفَ يرضى عاقلٌ أن ينْزَوي عنْ ضحايا حولَهُ يستنصرونْ؟، كيف يرضى، وقوانينُ العِدا يشتكي من جَوْرِها المستضعفون؟)، ولما كان العاقل لا يرضى ذلك فإنه أثبت حجة عدم الاتفاق بين ما يتصفون به وبين ما يتصف به العاقـل ممـا

(١) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص: ١٦٨.

يؤكد جور ميزانهم، وأثبت للطرف المقابل وهو الطفل صفات الفروسية والبطولة.

ويحاور الشاعر طفلا يرفع رأسه شامخا في قصيدته (شموخ في زمن الانكسار) يقول له:[1]

مَنْ أنتَ يا هذا؟ أعَدْتُ تساؤلي ... والطفل يرمقني ولا يتكلَّمُ

مَنْ أنتَ يا هذا؟ ودحرجَ نظرةً ... نحوي لها معنى وراح يتمتم:

أنا من ربوع القدس طفلٌ فارسٌ ... أنا مؤمن بمبادئي أنا مسلمُ

وفي تعريف الطفل عن نفسه كرر ضمير المتكلم (أنا)ثلاث مرات؛ مما يكشف عن شخصيته، فهو من القدس وطفل؛ لكنه فارس، والذي أكسبه هذه الفروسية هو الدين؛ فكرر(أنا) مرتين مرتبطاً في المرة الأولى بالإيمان وفي الثانية بالإسلام؛ بغرض لفت انتباه المتلقي إلى أهمية الدين، وأنه هو سبب ثقته بنفسه وسبب صموده وشموخه في زمن الانكسار.

وفي مقابل تكرار الاستفهام المعبأ بالإنكار والاحتياج للتعريف في(من أنت يا هذا)، جاء تكرار (أنا الطفل) ردة فعل لتأكيد الهوية وإثبات الذات.

ويبدو أن الشاعر يتعرض للوم كثيراً، مما دفعه لاستخدام الحوار بوظيفته الإقناعية مع قومه الذين يلومونه في يوم عيده، يقول في قصيدة: (عندما يحزن العيد):[2]

أقبلت يا عيد، أُجري اللحن في شفتي ... رَطْبًا، فيغبطني أهل وإخوانُ

أزفُّ تهنئتي للناس أشعرهم ... أني سعيد وأنّ القلب جَذْلانُ

وأرسل البسمة الخضراء تذكرة ... إلى نفوسهمو وتزهو وتزدانُ

(١) العشماوي،ديوان شموخ في زمن الانكسار،مكتبة العبيكان،الرياض،ط١٤٢٧،٣هـ،ص:١٨.

(٢) العشماوي، ديوان شموخ في زمن الانكسار، ص: ١٢١: ١١٩.

قـــالوا وقـــد وجَّـــهوا نحـــوي حـــديثَهمو هـــذا الـــذي وجهـــه للبشـــر عنـــوانُ

هـــذا الـــذي تصـــدر الآهـــات عـــن دمـــه شعـــراً رصـــينًا لـــه وزن وألحـــانُ

لا لـــن أعـاتبـــهم، هـــم ينظـــرون إلى وجهـــي، وفي خـــاطري للحـــزن كتمـــان

والله لـــو قـــرؤوا في الـــنفس مـــا كتبـــتْ يَـــدُ الجـــراح، ومـــا صـــاغتْه أشجـــانُ

ولـــو رأوا كيـــف بـــات الحـــزن متكئًـــا علـــى ذراعـــي، وفي عينيـــه نُكـــرانُ

لأغمـــضوا أعينًـــا مبهـــورة وبكـــوا حـــالي، وقـــد نـــالني بـــؤس وحرمـــانُ

يتحدث الشاعر عن حاله في يوم العيد من قوله للشـعر، وزفـه للتهـاني وإظهار الفرح للناس، وكيف أنه يتعرض للغبطة من أهله وإخوانـه، ويلومونـه على فرحته بهذا العيد، وحجتهم: (وجهه للبشر عنوان، تصدر الآهات عن دمـه شعرا رصينا)، فرد عليهم الشاعر بما يقلب الحجة لصالحه، فهم ينظـرون إلـى وجهه ولا يستطيعون الوصول إلى مكامن الحزن في داخله، فهم بذلك ينظـرون إلى ما أراد الشاعر أن يظهره للناس من الفرح؛ ولكن داخله حزين لم يفطن إليه أحد، وعضد ذلك بالصورة التي جسّدت الحزن في صورة إنسـان متكـئ: (بـات الحزن متكئًا على ذراعي وفي عينيه نُكرانُ) فاضطلعت بالوظيفة الإقناعية؛ لأنها جسدت حزن الشاعر الذي كان مخفياً عنهم، وجعلته ظاهراً للعيان، يقول بعد هذه الأبيات مما يدل على صدق ما يقول:

مـــن أيـــن نفـــرح والأحـــداث عاصفـــة وللدُّمـــى مقَـــل ترنـــو وآذانُ؟

مـــن أيـــن .. والمســـجد الأقصـــى محطمـــة آمـــاله، وفـــؤاد القـــدس ولهـــانُ؟

مـــن أيـــن .. نفـــرح يـــا عيـــد الجـــراح وفي دروبنـــا جُـــدُر قـــامت وكثبـــانُ؟

يبرر الشاعر حزنه بهذه الأحداث، فالمسجد الأقصى أصابه اليأس، وفـؤاد

القدس أصابه الحزن الشديد، لذلك يسأل الشاعر العيد عن المكان الذي سيطل منه الفرح وقد سُدت دروبهم، وهذه الأحداث تدّعم قول الشاعر ضد من اتهموه بالفرح.

وفي موضع آخر يحاور الشاعر التاريخ ليقنعه بأهمية الماضي، يقول في قصيدة: (قف أيها التاريخ):[1]

قِفْ أيُّها التاريخُ وقفةَ منصفٍ ... واسرُدْ على أسماعِنا ما كانا

حدِّثْ بربِّكَ عن جحافلِ أمةٍ ... رفعتْ لبنيانِ الهدى الأركانا

سلَّتْ على الأوهامِ سيفَ عدالةٍ ... فمَحَتْ به الإرهابَ والطُغيانا

قُلْ أيُّها التاريخُ!.. قال، وقد رمى ... نحوي من البصرِ الحديد سنانا:

ماذا سينفعُ ذكرُ ماضيكم إذا ... نمتم وظلّ عدوُّكم يقظانا؟!

يطلب الشاعر في الأبيات السابقة من التاريخ أن يقف وقفة العادل المنصف ليسرد لهم ما كان من جحافلهم التي رفعت أركان بناء الهدى، ومحت الوهم والإرهاب والطغيان، ويحاول التاريخ التأثير على الشاعر و إقناعه بعدم أهمية الماضي، أو التعلق بما حُقق فيه؛ فالماضي لن يعود، وليس هناك جدوى أو فائدة من تذكره أو الاعتماد عليه؛ حيث حاضرهم يظهر عكس ذلك (ماذا سينفعُ ذكر ماضيكم إذا نمتم وظل عدوكم يقظانا)، وورود هذه الجملة في صيغة إنشائية لها دورها في عملية الإقناع؛ فلم يأتِ بها في صيغة خبرية حتى لا يثبتها كحقيقة ثابتة، وجاء بها بصيغة إنشائية أراد بها التأثير على الطرف الآخر، ودفعه للنهوض.

فكان للتاريخ ما أراد من التأثير على الشاعر الذي كتم لوعته، وسأل

(١) العشماوي، ديوان عناقيد الضياء، مكتبة العبيكان ،الرياض،ط١٤٢٤،٢هـ،ص: ١١٥: ١١٠.

نفسه بعد هذه الأبيات عدة أسئلة: هل أحجم التاريخ؟وهل مات ذكر الفاتحين؟وهل استدار الدهر؟وهل انزوى السيف في الغمد؟وحين لم يستطع كتم لوعته أكثر توجّه للتاريخ قائلا:

قِفْ أيُّها التاريخُ، إنا هاهنا تمتدُّ بالأملِ الكبيرِ يدانا

أنظرْ إلينا كي تشاهدَ جيلَنا يأبى لغيرِ الخالقِ الإذعانا

لترى شبابَ العُرْبِ حين تألَّقوا في عصرِنا، ولتُبصِرَ الأفغانا

لتشمَّ في "باميرَ" مِسْكَ دمائِنا ولكي ترى في "القدْسِ" فَجْرَ هُدانا

يستوقف الشاعر التاريخ ليريه بطولات حاضرهم، فيستعمل حاستي النظر والشم للتدليل على أن العز والتمكين والهدى لايزال في حاضرهم، ينهض به جيلهم من شباب العرب في الأفغان وباميرو والقدس ، وإن أراد التاريخ أدلة زيادة، فليسأل ماذا وراء النهر من أمجاده ورموزه الخالدة وذلك للتأثير بها على خصمه التاريخ، وحمله على الاقتناع بأهمية الماضي؛ فمن لا ماضي له لا حاضر له. وقال بعدها ليعرف رأي التاريخ وموقفه مما قدمه له من براهين:

قُلْ أيها التاريخُ شيئاً، قال لي: مَهْلاً، فذلك عِزُّكم قد كانا!

أنا شاهدٌ عَدْلٌ رأيتُ، وما رأتْ عيناياَ إلاَّ الخيلَ والفرسانا

دَعْ ما مضى، فلقد رويتُ حديثَه وأضفتُ فيه إلى الزمانِ زمانا

وانظُرْ إلى مرآةِ عصركَ إنَّها عَرَضَتْ لنا في وجهِكَ الأحزانا

عَرَضَتْ لنا في وجه أمتِك الأسى عَرَضَتْ لنا في قلبِها الطُّوفانا

دَعْ ما مضى، واسألْ دموعَ يتيمةٍ في القدسِ تُغرق طرفَها السَّهرانا!

سَلْ "طاجكستان" التي لعبوا بها عمَّا جرى، سَلْ قلبَها الولهانا!

يعترف التاريخ ويشهد شهادة عدل بما رأت عيناه من الماضي وعزه وقوته؛ ولكنه تحدث عن الماضي زمناً طويلاً، فلا يريد للشاعر أن يقضي كل هذا الزمن في الاعتماد على مجد الماضي، فقال له: دع ما مضى، وانظُرْ إلى مرآةِ عصركَ التي تُظهر حزن وجهك الذي يعكس حزن عصرك، وتُظهر الأسى في وجه أمتِك وطوفان قلبها، ويكرر التاريخ: (دع ما مضى) حتى لا ينشغل الشاعر بالماضي ويغفل عن مآسي الحاضر، فيطلب منه سؤال دموعَ يتيمةٍ في القدسِ عن سبب يتمها، ويسأل"طاجكستان"و قلبَها الولهان، ومازال مستمراً، فقال له الشاعر:

سلْ.. قلتُ: يا تاريخُ صمتَكَ، لا تُضِفْ شيئاً، كفانا ما رويتَ كفانا!

شتَّانَ بين شموخِ أمتِنا الذي ولَّى، وبين خضوعِها شتَّانا!

أيقنتُ يا تاريخُ أنا لم نزلْ في وهمِنا نستمطرُ الحرمانا!

ينجح التاريخ هنا في إقناع الشاعر بعدم الاعتماد على بطولات الماضي، والالتفات إلى الحاضر بأحزانه ومآسيه التي لا تخفى على العين بما يشكل بوناً واضحاً بين الماضي والحاضر، فاعترف الشاعر وأقرّ مقتنعاً أنه يعيش حالة من الوهم (أيقنتُ يا تاريخُ أنا لم نزلْ في وهمِنا).

وفي قصيدة: (خلا لك الجو)، يقول الشاعر:[1]

سمعت قائلاً يقول:

القدسُ – عفواً يا أحبتي –

أقصد، "أورشليمْ"

تشاهد القتيل والجريح واليتيمْ

تعيش تحت وطأة اللئيم

(١) العشماوي، ديوان شموخ في زمن الانكسار،، ص: ٢٠٧: ٢٠٣.

وتشتكي من جرحها القديم

ياويلكم .. ما عاد يستثيركم صراخُها الأليم

القدسُ – يا أحبتي – حزينةٌ عليلَهْ

سمعت قائلاً يقول:

يا شفة البركان لا تُتمتمي

لا تنطقي بلهجة الدُّخان والحمم

يورد الشاعر في الأبيات السابقة أقوالاً سمعها من قائل مجهول، يظهر منها اليأس من حال القدس التي يسميها: "أورشليم"؛ وذلك لأنها تشاهد القتيل والجريح واليتيم دون ردة فعل تجاههم، وتشتكي ولكن لم يعد هناك من يستثيره ألمها؛ لذلك هي حزينة عليلة ويكرر: (سمعت قائلا يقول) مرتبطة بفعلي النهي(لا تتمتمي، لا تنطقي) ، ويقول بعدها مكرراً جملة: (سمعت قائلا يقول):

سمعت قائلاً يقول:

يا شفة البركان لا تعبِّري

سيَّانَ عندي أنْ تكوني لوحةً للصمت

أنْ تزمجري

سمعت قائلاً يقول:

يا قلمَ الحقيقة احذرِ

قُل ما يشاء القومُ أو فقفْ

يكرر الشاعر جملة: (سمعت قائلا يقول)، وترتبط كسابقتها بفعل يشير إلى النهي عن القول: (لا تعبري)، ويدعو إلى اليأس من أن يكون للكلام فائدة. كما يكررها مرة أخيرة (سمعت قائلا يقول)، ويأتي القول للتحذير من قول الحقيقة إلا إن كانت هذه الحقيقة توافق مشيئة القوم. ويأتي رد الشاعر بعد هذه الأقوال التي سمعها، يقول:

يا قائل المقالةِ الجبانْ

نسيتَ أن أمتي عظيمة الكيانْ
وأنها تلوذ بالرحمانْ
وعندها من دينها الأمانْ
يا قائل المقالةِ الجبانْ
مَنْ قال: إن نجمةً تُطاول القمرْ؟!
وإنَّ نملة ستكسرُ الحجر؟!
وإنَّ أجذمَ اليدين يعرف الوَتَرْ؟!
من قال أيها المكابر العنيد:
مَنْ غبارًا يُنزل المطرْ
وإن ريحَ قيظٍ تنعش الشجَرْ
وإنَّ شِدةَ الحَذَرْ
تُنجي من القَدَرْ
يا قائل المقالةِ الغريبَ.
رجاؤنا في الله لن يخيبْ
رجاؤنا في الله لن يخيبْ

يرد الشاعر على قائل المقالة ويصفه بالجبن، وأنه غاب عن عقله أن أمته عظيمة الكيانْ، كونها تلوذ وتعتصم بالرحمنْ، وعندها الأمانْ متمثلا في الدين الإسلامي. ويناديه مرة ثانية ليؤكد انعدام قيمة الشجاعة لدى قائل هذه المقالة، إذ يقول: (يا قائل المقالة الجبانْ)ليبين له منزلة أمته وعلو قدرها على باقي الأمم، وذلك من خلال الأسئلة التي طرحها عليه: من قال إن نجمةً تُطاول القمرْ؟! وإن نملة ستكسرُ الحجر؟! وإن أجذمَ اليدين يعرف الوَتَرْ؟! وتكشف إجابتها استحالة تحقق ذلك؛ مما يثبت عظمة أمته على باقي الأمم. ويناديه مرة ثالثة بما يسلبه قيمة أخلاقية أخرى، يقول: (أيها المكابر العنيد)، فيصفه بالمكابرة والعناد، ويسأله (من قال: مَنْ غبارًا يُنزل المطرْ، وإن ريحَ قيظٍ تنعش

الشجَرْ، وإن شِدةَ الحَذَرْ تُنجي من القَدَرْ)، ولما جاء الإقناع هنا بمخاطبة العقل بأمور لا يستطيع أن ينكرها، وذلك عبر توظيف الاستفهام الإنكاري واستظهار الإقرار بمضمون الاحتجاج فيه عبر العجز عن مخالفة ذلك الإنكار، ظهر كذب هذه الأقوال، فرد عليه الشاعر بأن شِدةَ الحَذَر لا تُنجي من القَدَرْ. وينادِيه مرة رابعة بالغريب ويكرر له: (رجاؤنا في الله لن يخيبْ) ليؤثر بها عليه وعلى المتلقي، ويحملهما على الاقتناع بأن الرجاء في الله لن يخيب أبداً حتى وإن ساءت الأوضاع.

الخاتمة:

إن الحوار يأتي بوظيفته الإقناعية حين يكون هناك اختلاف بين طرفين أو أكثر، فيوضح الطرف الأول أوجه الاختلاف مستخدماً الأدلة والبراهين، ومستعيناً بالتقنيات الأسلوبية للتأثير على الآخر وحمله على الاقتناع برأيه، ويقف الآخر موقف المدافع عن رأيه من أجل تحقيق صدق ما يقول أو الاقتناع بالرأي الآخر.

كما تتجلى قيمة الإيجاز وأهميته في هذا المبحث المختص بالوظيفة الإقناعية للحوار؛ لأن الإيجاز يؤدي دوراً مهماً في التأثير والإقناع وإثارة المتلقي، "فالتطويل في الوصف والتصوير والإسهاب في الشرح والتعليل ينتهيان بالمتلقي إلى الملل فتضعف قدرته على الانتباه ولا يحتفظ من القول إلا بأقله وحتى هذا القليل معرض إلى النسيان لبعده عن الإيجاز"(١).

والحوار بوظيفته الإقناعية من خلال شعر العشماوي الخاص بالقضية الفلسطينية أظهر صوت الشاعر المدافع عن القضية والمنتصر لها، والمعارض لكل ما يقف في طريق ذلك، كما أن حواره وهو طرف واحد مع الجماعة من القوم، وتقديم لهم الحجج يظهر قوته التي قد تفحمهم فلا يستطيعوا الرد، وقد يقتنع حيناً آخر كما ورد في حواره مع الشمس، والتاريخ.

(١) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص: ١٢٣.

ثبت المصادر والمراجع

١-ابن منظور،محمد بن مكرم ،لسان العرب،دار صادر ،بيروت،ط٣ ،١٤١٤هـ.
٢-الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط٢ ،٢٠١١م.
٣-العشماوي،عبدالرحمن بن صالح، ديوان القدس أنت،مكتبة العبيكان،الرياض،ط٢ ،١٤٢٨هـ.
٤-العشماوي، ديوان على قمم النصر،مكتبة العبيكان،الرياض،ط١ ،١٤٣٣هـ.
٥-العشماوي، ديوان شموخ في زمن الانكسار،مكتبة العبيكان،الرياض،ط٣ ،١٤٢٧هـ.
٦-العشماوي، ديوان عناقيد الضياء، مكتبة العبيكان،الرياض،ط٢ ،١٤٢٤هـ.
٧-علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني،بيروت ،لبنان،ط١ ،١٤٠٥هـ.
٨- العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية،(الخطابة في القرن الأول أنموذجا)،أفريقيا الشرق،المغرب،ط٢ ،٢٠٠٢م.

الرسائل الجامعية:

٩- الفايز، عبدالرحمن بن عبدالعزيز، الحوار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي،رسالة لنيل درجة الدكتوراة في البلاغة والنقد،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٤٢٥هـ.
١٠- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق: د٠محمد العمري،أفريقيا الشرق،المغرب،١٩٩٩م.
١١- عز الدين، إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٤هـ، ص١٣١.
١٢علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ،
١٣-المشهوري، محمد بن عبدالله، الحوار في شعر محمد حسن فقي،: دراسة تداولية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٥٥٤٢
٢-	Abstract	٥٥٤٣
٣-	مدخل	٥٥٤٤
٤-	مفهوم الحوار:	٥٥٤٤
٥-	تعريف الاقناع:	٥٥٤٤
٦-	الخاتمة:	٥٥٦٢
٧-	ثبت المصادر والمراجع	٥٥٦٢
٨-	فهرس الموضوعات	٥٥٦٣

بحمد الله تعالى